فاعِلية الشَّخصية في الرَّدِ على التاريخ " رواية أيام شداد لمحمد مفلاح أنموذجا "

Personal effectiveness in responding to history " The Novel of the day of Shadad by Muhammad Muflah as model "

ط.د ساجي عبد الحكيم*

جامعة عبد الحميد بن باديس _مستغانم

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية في الجزائر من العهد التركي

sadjihakim10@gmail.com

د. زيتوني كريمة

جامعة عبد الحميد بن باديس _مستغانم

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية في الجزائر من العهد التركي

karima.zitouni@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٢/١٠ تاريخ القبول٢٠٢٥/١١/٢٥ النشر ٢٠٢٥/١٢/١١

ملخص :

سعينا في إطار هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على عنصر الشّخصية، والكشف عن فاعليتها كأداة استثمرها الرّوائي المعاصر في إعادة قراءة التّاريخ فنيّا، فحاولنا سبر أغوار هذا الموضوع في رواية أيّام شداد، للرّوائي الجزائريّ محمد مفلاح، والبحث عن كيفية تعاطيه مع الشّخصيات لبناء عالمه الرّوائي ومدى فاعليتها في الرّد على التاريخ، فتطرّقنا بذلك إلى مفهوم الشّخصية الرّوائية ثمّ طرائق تقديمها في الرّواية، وموقعها من الحدث الرّوائي، وحسب ما تمليه طبيعة الموضوع فقد اعتمدنا منهجا تعدّدت آلياته بين الوصف والتّحليل والتّأريخ، ومن أهمّ النّتائج التي توصّلنا إليها نذكر:

_ الشّخصية نواة العمل الأدبي.

_ كشفت الشّخصيات عن المهمّش من التّاريخ.

الكلمات المفتاحية : رواية؛ شخصية؛ تاريخي؛ تخييلي؛ قراءة.

Abstract

Within the framework of this research paper, we sought to the element of personality and reveal its effectiveness as a tool that the contemporary novelist has invested in rereading history artistically .We tried to explore the depths of this topic in the novel Days of Shaddad by the Algerian novelist Muhammad Muflah, and search for how he dealt with characters to build his fictional world and the extent of their effectiveness. In responding to history, we touched on the concept of the fictional character, the methods of presenting it in the novel, and its position in the fictional event According to what the nature of the topic dictates, we adopted approach whose mechanisms varied between description analysis, and history: Among the most important results we reached we mention:

_ The character is the nucleus of the literary work

_ The character revealed those marginalized from history.

Keywords: novel; a personality; Historical; imagination; reading.

*ط.د ساجي عبد الحكيم

مقدمة:

تعد الشخصية ركيزة أساسية، في بنية الأعمال السردية، فهي روح النص، وعامل التحليل السيكولوجي الذي من دونه لا تنبني الحكاية فلا يمكن أن تكون هناك أقوال، أو أفعال أو حركات أو حوارات داخل النص السردي بمعزل عن الشخصية، فهي مُحرك الفعل والدافع إليه، وهي النواة التي تتوشج عبرها، مختلف العناصر السردية؛ كما أن الاهتمام المتزايد والعناية الخاصة بهذا العنصر كشف عن دوره كأداة استثمرها المبدع في نقل أفكاره وتصوراته واقتحامه للعوالم المحرمة وقول ما لم يستطع أحد قوله، فالشخصية هي صوت الكاتب، ولسانه الناطق والمعبر عن رؤيته الخاصة لبعض القضايا وبحث عن حلول لبعض المسائل .

والحقيقة أن استثمار الشَّخصية بنوعيها التاريخية، والمتخيلة في الرَّد على التاريخ، وإعادة قراءته روائيا سَجَّلَ حُضُوره القوي في الروايات الجزائرية المعاصرة؛ بَيْدَ أن الرؤية الخاصة في تقديمها، وتفعيلها مع الحدث الروائي شَكَّل خُصوصية هذا العمل الإبداعي، وتعد "رواية أيام شداد لمحمد مفلاح" من بين النماذج ذات الرؤية الواضحة، والكشف الصريح عن أهمية الشخصية، ويتضح ذلك من خلال سعيه لإثارة إشكال التاريخ، والوقوف خلفها معبراً عن مواقفه بكل أريحية، وتمكن من التعاطي مع الماضي المرير، متجاوزاً بذلك قيود التاريخ و تجسيد فكرة الصراع، عبر فتح جراحات الذاكرة المهمشة والمنسية. وقف الروائي محمد مفلاح على مرحلة من مراحل ثورتنا المجيدة ــ الثورات الشعبية في الجزائر ــ وأعاد تمثيل تلك الفترة بانتقاء شخصيات تاريخية معروفة، والتفنن في اصطناع، و رسم معالم شخصيات أخرى من مخيلته، انصهر جميعها في بوتقة واحدة وأصبحت تلك الأحداث في تفاعلها مع الشخصيات أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال، وهو مؤشر عن التراكم الفني، والمعرفي عند هذ الروائي .

فكيف قدم الروائي محمد مفلاح شخوص روايته ؟ وما فاعليتها كأداة وكمحصلة في الرَّدِ على التاريخ ؟ ولمعالجة هذه الاشكالية تعرضنا لمفهوم الشخصية الروائية، وطرائق تقديمها في رواية أيام شداد، ثم وحاولنا الكشف عن موقع الشخصيات بنوعيها التاريخية، والمتخيلة من الحدث الروائي، ومعتمدين في ذلك على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي استجابة لمتطلبات البحث .

I . مفهوم الشَّخصية الروائية :

الشَّخصية (PERSONNEL)من المفاهيم الغامضة، والمعقدة، وذات الانفتاحات العديدة، تعددت مفاهيمها بتعدد مشارب الباحثين، فالاشتقاق للغوي في العربية من وراء "شخص" يندرج ضمن التعبير عن القيمة الحية ولا يعني أصل معناها في اللغات الغربية إلا شيئا من هذا القبيل أي: التعبير عن القيمة الحية (مرتاض، ١٩٩٨، صفحة ٧٥) وتشير بعض المصادر أن الأصل في ظهورها يرجع إلى المسرحيات الرومانية وإلى القناع الذي استخدم لحماية الممثلين على خشبة المسرح أثناء محاكاتهم لأفعال العظماء على الشكل التراجيدي وأفعال الضعفاء (الطبقة المسحوقة في المجتمع على شكل كوميدي والتي كان الممثل فيها يخفي وجهه بقناع من جلد، أو ما يسميه البعض بالوجه المستعار الذي يرتديه الممثل في المسرح.

دخلت الشخصية حيز اهتمام العلوم، فاهتم بها علم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، واللغة والأدب وربطها كلٌ بمجال تخصصه، فقد ارتبطت في علم النفس بالسلوك وما يبديه الفرد من تصرفات متكررة تميزه عن غيره والتي يعبر بها عن نفسه، ويتحصل بها التوافق (الحفني، ٢٠٠٥، صفحة ٢٢٩) فهي عندهم جملة التصرفات التي من شأنها أن تجعل الفرد مميز بسلوكه.

في حين توجه علم الاجتماع في تحديده للشخصية إلى علاقة الفرد بمجتمعه، وتفاعله معه فالنفس البشرية تُؤثِر وتتأثر وما تحمله الشخصية لا يعدو عن كونه صناعة الجماعة، وحصيلة تفاعل معها؛ وحسب هذا التوجه يمكن القول أن علم النفس وعلم الاجتماع وضعا محددات الشخصية انطلاقا من الشخصية الآدمية.

يبدو التركيز في المجالين السابقين على عامل المطابقة بين الشخص الواقعي (الحقيقي) وما هو خيالي، (الشَّخصية الروائية) في وضع مفهوم للشخصية، وتصبح الشخصية عبارة عن إحالة مرجعية قوامها المحاكاة، والإسقاط وعقد التماثل، وعبَّر عن هذا الاتجاه حرص بعض الكتاب في اصطناع شخصيات مثالية في أعمالهم وكأنها تعيش في الواقع " لا مجرد شخصيات روائية محبوسة داخل الأعمال الأدبية التي صورت فيها" (مندور، دت، صفحة ٨٤) وهو ما أدى إلى خلق التباس وضبابية وتحَوَّلَت الشخصية الروائية إلى نموذج إنساني.

وأما المقاربات الحديثة المنبثقة عن ظهور لسانيات فرديناند دوسوسير(FERDINAND de SAUSSURE) فإنها اعتمدت على عامل التركيب، وعزلت كل ما هو خارج نصي، وركزت على بنيتها داخل النص الأدبي، وعدَّتها مسألة لسانية لا تخرج عن نطاق التراكيب اللغوية، وتخضع في وجودها بشكل كبير على القارئ ومدى قدرته على الفهم، والتأويل للعمل الروائي (القصاب، ٢٠٠٨، صفحة ١٧٩) وهذا التركيب لا يكون مُستقل بذاته، بل مُرتبط بالعمل الفني كَكُل، ومتعلق بما ينتجه القارئ من أفكار لحظة اكتشافه للنص عبر آلية التحليل، وتأويل .

وهو نفس الاتجاه الذي سلكه عبد المالك مرتاض في تحديده للشخصية؛ فهي عنده "شخصية ألسنية قبل كل شيء، حيث أنها لا توجد خارج الألفاظ بأي وجه؛ إذ لا تعدو أن تكون كائناً من ورق" (مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، ١٩٩٠، الصفحات ٦٧-٦٨) ومع ذلك يُقر بدورها كأداة وظيفية يلجأ المبدع إليها لتحقيق هدف ما، فهي أساس العمل الإبداعي .

فالشَّخصية أداة طيِّعة في يد الروائي، وأساس العمل الإبداعي الذي يعد نجاحه رهين نجاح الشخصيات فيه "وذلك لأنها تُمثل النَّواة التي تَجمعُ مُختلف الأفعال " (الذهلي، ٢٠١٣، صفحة ١٩) والتي من شأنها إضفاء حركية وحيوية في النص الإبداعي وهو ما يعزز القول بعدم قبول بأي شكل من الأشكال، أفعال وحركات وحوارات في العمل الفني الإبداعي من دون شَخصية، فهي مُحرِّك الفِعل والدَّافعُ إليه .

والرواية بِعَدِّهَا جِنساً أدبياً مرناً يسعى الروائي من خلالها لمحاكاة الواقع بكل تجلياته، عبر الرؤية الاستشرافية للمتوقع أو المحتمل الوقوع؛ وهذه الرؤية تكون غير مفصولة عن الشَّخصية في سُلوكها، وتفاعلها حتى تتحقق النظرة الشمولية، وهو ما يفسر لنا سر الاهتمام المتزايد بعنصر الشخصية. و في المقابل لا يعني أيضا إقصاء بقية العناصر الأخرى.

II . طرائق تقديم الشخصيات في الرواية:

١ . لتقديم الذاتي:

في هذا النوع من التقديم، تتكفل الشخصية بتقديم نفسها بنفسها بواسطة تصريحاتها، وأقوالها وسلوكها وتبقى صورة الشخصية غير مُكتملة، ما لم يكتمل النص؛ فهي مجموع ما تَقولُه عن ذاتها في النص سواءً كان ذلك بشكل صريح كالوصف الخارجي (الشكلي) السن، الطول، اللباس، الهيئة، لون البشرة والشعر...إلخ، أو ضمني حوارها الداخلي (المونولوج) الذي نتلقفه، وهي تكشف عن حالها، وما تشعر به من أفراح، أحزان واضطرابات، وقلق، وخوف، و ألم، وحلم وطموح...إلخ. يمتد هذا التقديم أحيانا ليعطينا سيرة ذاتية عن الشخصية، والتي تكون مبثوثة في تلافيف النص السردي، معبرة عن حياتها، نشأتها، تعلمها، سلوكها في المجتمع، وعن أحاسيسها، ومشاعرها.

فَفِي هذا التقديم يسهل القبض على معالم الشخصية؛ إلا أن البعض يراه أقل الأنماط تواتراً في الأعمال السردية المعاصرة كونه تقديم يرتبط" بمعرفة الذات وكيف يمكن في الوقت نفسه نقل تلك المعرفة إلى الآخر؛ ذلك أنه من الصعب رؤية الذات بنفس البرودة التي نرى بها الآخر، ومِن هنا تُعقد مُشكلة النظر إلى الذات، وتقديمها إلى القارئ " (بحراوي، ٢٠٠٩، صفحة ٢٢٣)

فسعي الروائي لتقديم شخصية ناجحة، يَتماهَى القارئ معها، ويتوهم حَقيقة، وُجودها _ وهذا من خلال تفنن المبدع في رسمها ووسمها ونَقل قِصتها على صفحات الرواية _ كشف عن الخلط والالتباس الحاصل عند القارئ أثناء تحليل سلوك الشخصية، وذلك بالمطابقة أحيانا بين الشخصية، ومبدعها وإسقاط الشخصية على الذات التي أبدعتها ؛ غير أن رؤية الذات لنفسها مختلف تماما عن رؤية الآخر لها.

ويظهر هذا النمط من التقديم في روية (أيام شداد) وسمح لنا بالاقتراب أكثر من بعض الشخصيات والكشف عن جوانب مهمة داخلية وخارجية مباشرة من صاحبة الشأن _ دون وسيط _ من بينها شخصية السارد (شداد) التي تقدم وصفا شكلياً لذاتها ، باستخدام ضمير المتكلم :" أنا طويل القامة ، نحيل الجسد... "(مفلاح، ٢٠١٦، صفحة ٠٦) لتتشكل الصورة الخارجية لهذه الشخصية في ذهن المتلقي، وكأنها ماثلة أمامه، وليست متخيلة خطها قلم المبدع عبر الكلمات.

وفي حركة متماوجة من طرق الإضاءة، تنبري هذه الشخصية للكشف عن دواخلها باستخدام تقنية المونولوج، وتعبر عن حالة الخوف، والقلق، والاضطراب والإغراق في التفكير والانشغال بما يجري في القرية والخيمة الحمراء لتكتمل صورة هذه الشخصية وتدب فيها الحياة عبر المشاعر، والأحاسيس والتفكير، والاهتمام، فتكون إسقاطا على النموذج الإنساني، الواضح المعالم، والبارز الصفات؛ ولم تتوقف عند هذا الحد؛ بل واصلت الكشف عن عائلتها وأقاربها وانتمائها للعائلة الثورية من خلال ذكر صلة القرابة بينه وبين شخصية بلعربي و وذكر اسم أمه (خيرة) وجيرانه (بغداد وأمه بدرة) والحديث عن تعليمه الديني، ونشاطه وهذا تقديم يتماشى مع طرح ألان روب جريه الذي قال: " الشخصية يجب أن تتمتع باسم علم، بل باسمين إن أمكن: اللقب واسم الأسرة، يجب أن يكون لها أقارب، وورثه...يجب أن يكون لها طابع، ووجه يعكس هذا الطابع، " (جريه، دت، صفحة ٣٥)

وعلى غرار شخصية شداد نجد أيضا شخصية زروقي الأزهري التي تسدل الستار عن نفسها بتقنية الحوار الثنائي بينها وبين شخصية شداد فتطلب من شداد الإنصات وتبدأ حكايتها عن الثورة وجرائم الاستعمار وسط دهشة وحيرة من شخصية شداد والتي أظهرت تفاعلها مع الحكاية، واستفسرت عن جدوى الكتب المخطوطات وسر الاهتمام بها في زمن الثورة، لتجيبها شخصية زروقي الأزهري بكل فحر " المخطوطات التي أغتنمها من رحلتي، هي كلها عن تاريخ الجزائر، وبخاصة عن منطقتنا وضواحيها تحصلت عليها من مدرسة ابن خلدون " (مفلاح، ٢٠١٦، صفحة ٦٣) فترسم لنا صورتها بهذه الكلمات التي تعبر عن شخصية الرجل الثوري والمثقف، المهتم بتاريخ وطنه بعامة، وتاريخ منطقته على وجه الخصوص، وتكشف عن دور العلم والمعرفة في خدمة الثورة.

فما من شك أن للحوار الثنائي دور كبير في الكشف عن الشخصية إذ لا يمكن الحكم عليها بحكم ما لم نتمكن من معرفة أسباب تصرفها، وفيما تبديه من آراء ومواقف حين مخاطبتها للآخرين لأن" كلام الشخص بمثابة مرآة تعكس الحقائق الكامنة في داخله " (علي، ٢٠١٢، صفحة ٥٨)

كما نلفي هذا النمط من التقديم عند الشخصية الأجنبية، وهي تقدم نفسها مستخدمة ضمير الأنا، وهذا عند شخصية الكولونيل بيليسي (PELISSIER) التي ارتفع صوتها عاليا " أنا كاليغولا، أنا كاليغولا " (مفلاح، ٢٠١٦، صفحة ٩٠) وهي بهذا تكشف عن هويتها، وانتمائها العرقي لإمبراطور روما، فترتسم صورة هذه الشخصية _عند القارئ _كنسخة مطابقة عن أصوله وما تحمله هذه الأصول من حقد وغل وكراهية لشعوب افريقيا، فالشخصية هنا جاءت لتعبر عن الخلفيات والأفكار والمعتقدات التي ترسخت في ذاكرتها، وكلماتها تشي بشيء من هذا القبيل؛ كما تكشف هذه الكلمات عن توجه فكري عقائدي للمتكلم. وهذا النمط من التقديم يَلجأ إليه الروائي ليَمحي الفواصل الزمنية، ويُقرب الماضي من الحاضر فيجعل القارئ يرى هذه الشخصيات تعيش في الزمن الحاضر، وتحدثنا بنفسها عن نفسها خاصة مع الشخصيات ذات المرجعية التاريخية .

٢. التقديم الغيري:

في هذا التقديم يترك الأمر لشخصية من شخصيات الرواية لتمُدنا بالمعلومات الكافية عن شخصية أخرى كما يؤدي القارئ دورا كبيرا في الكشف عنها، من خلال الغوص، والتمعن في حديث الشخصيات، وما يقال عن أقوالها، وأفعالها سلوكها ؛ كما أن هذا النمط من التقديم يحتاج إلى القارئ الواعي، والعلم بأساليب السرد، ويمتلك مفاتيح التحليل والتأويل كما نلفي أن الشخصية المتشكلة تختلف من قارئ إلى آخر ذلك؛ فالقارئ عليه أن يتكفل بجمع المعلومات، والتي تكون غير جاهزة ، وإنما تخضع لمدى قدرة القارئ وخبرته في الكشف عنها .

ولاشك أن هذا النمط من التقديم أتاح للقارئ فرصة المشاركة ليس في صنع الشخصية ؛ ولكن في طريقة الكشف عن جوانبها، من خلال النظر اليها من زوايا مختلفة وهو ما تسعى إليه الدراسات الحديثة في انفتاح النص على عدة قراءات وإنتاج نصوص موازية فلم يعد السارد موجه ومتحكم في تقديم الشخصية كما هو الحال مع النصوص التقليدية بل أُنزِلَ من برجه العاجي لفسح المجال، وترك مسافة للقارئ فيكون له موقع، وسط بين الكاتب، والقارئ ، كما أن المتحدث هنا يتحدث عن غائب فهو غير ملزم بالتقديم الدقيق، فقد يكتفي بنقل ما هو عام

وتُطلعنا رواية أيام شداد على هذا النوع من التقديم، عبر ما تقدمه لنا شخصية السارد عن الفتاة قمرة مستخدما ضمير الغائب ففي الوصف الشكلي قال :" هي فتاة ربعة ممتلئة، قمحية البشرة..." (مفلاح، ٢٠١٦، صفحة ٠٦) ثم يكشف عن الحالة الاجتماعية من خلال الحديث مسكنها المتواضع و حياتها اليومية التي تمثلت في غزل الصوف وحلب البقرة والعنزات الخمس وإعانة والدها زروقي الأزهري في الغرس وجني الثمار واهتمامها بحصان والدها الذي عاد به من قبيلة فليته استعدادا للمشاركة في الثورة.

فشخصية شداد في وصفها للحالة الاجتماعية للفتاة قمرة ، تكون قد كشفت بطريقة غير مباشرة عن جانب من الحالة الاجتماعية لشخصية زروقي الأزهري ، فهو والدها الذي تتقاسم معه الحياة القاسية في القرية .

كما يُؤسس السارد شداد لإثارة الاهتمام بشخصية زروقي الأزهري فيمدنا بمعلومات عن هذه الشخصية في تعلمها الفقه واللغة ودراستها بالأزهر الشريف وشغفها بقراءة مؤلفات بعض المشايخ ومكانته الرفيعة بين سكان القرية وما تحظى به من تقدير وإجلال واستشارته في القضايا الكبرى وخاصة ما تعلق منها بالثورة نظرا لمعلوماته عن المنطقة ومقاومة الأمير عبد القادر، واستشهاد الشيخ محمد بن علال وكفاح الحاج أحمد باي بقسنطينة، فالسارد في هذا التقديم يرمي للموضوعية؛ لأنه يقدم معلومات عن الشخصية وعلى القارئ اكتشاف جوانبها، فشخصية زروقي الأزهري هنا تمثل الشخصية المتَّزِنة ، المثقفة، والعالمة، والثورية الحريصة على شؤون القرية تحظى بالاحترام والتقدير بين رجال القرية.

وقد يتحول السارد فجأة " ليؤدي دوراً رقابياً، موصلاً دون تدخل بزيادة أو نقصان " (الشمالي، ٢٠٠٦، صفحة ١٧٩) ويؤسس للاعتقاد السائد والمشترك بين معظم سكان القرية عبر طرحه لمقتل الشيخ البوهالي وما شاع بينهم عن هذا الرجل الصالح، وبشكل خرافي ينقل حديث الناس عن حزن الوادي الذي تلون بالدم ثم فاض ليصل إلى معسكر العدو، ويتحدث عن عودة رأسه المقطوع إلى جسده، ثم كيف تحول الشيخ البوهالي إلى أسد فتك بعساكر العدو وكاد أن يصيب القائد سانت آرنو نفسه ومن خلال أيضاً حديث حمزة الناجي عن هذ الشيخ " ومنها تبريد الرصاص وسمعت منه أيضا أن الشيخ بومعزة لا يؤثر فيه رصاص العدو"(مفلاح، ٢٠١٦، صفحة ٣٤)

ينقطع السرد ويفسح المجال لشخصية الحضري ؛ لتقدم لنا الشخصيات التاريخية، وخاصة الأجنبية منها فتصف بيجوBUGEAUD بالضابط الفرنسي الخطير الذي يتولى الحكم في الجزائر، شعاره السيف والمحراث وسانت آرنو (SAINT ARNAUD) على أنه وحش كاسر وسفاح خطير سعادته في خوض الحُروب المدمرة ثم يعرج إلى الشيخ بومعزة ونسبه الى عرش أولاد خويدم بالقرب من وادي جديوية وهذا التقديم يكشف أيضا جوانب من شخصية الحضري فحين قدمت الشخصيات بدت غامضة وتحمل أسرار لنكتشف بعدها في أن هذا البائع المتجول من رجال الشيخ بومعزة فتحركات هذه الشخصية له دلالة العين الراصدة المتتبعة لما يجري في القرية .

في حين شخصية الأمير عبد القادر أسس لها السارد بالانطباع السائد، عبر تساؤلات، وتصريحات جاءت على لسان شخصيات مبثوثة في تلافيف النص من خلال أسئلتها عن مكان تواجده، وعن ساعة عودته لمواصلة الكفاح ف" بلادنا تلد كل يوم بطلاً يسير على خطى الأمير (مفلاح، ٢٠١٦، صفحة ٨٧) أو عبر طرح الكاتب

لواقعة "وادي إ يسلي"، التي تغنت بها الحكومة الفرنسية ونال الجنيرال بيجو لقب دوق دي إ يسلي؛ لتظهر لنا قيمة هذه الشخصية في الثورة الشعبية، ودورها القيادي وتحركاتها التي أرهقت جنيرالات فرنسا، وتسببت في معركة طاحنة بين الجيش الفرنسي والجيش المغربي لتتشكل صورة الأمير عبر مراحل تتماهى فيها رؤية المبدع/ الروائي ومعرفة، واستنتاجات القارئ.

III. موقع الشخصية من الحدث الروائي

وقف الروائي محمد مفلاح في رواية " أيام شداد "على شخصيات تاريخية، بأمكنتها، وأزمنتها شخصيات لها وجود فعلي في تاريخ الثورات الشعبية، وطعمها بشخصيات متخيلة أبدعتها مخيلته فشكل فضاء إبداعيا مؤشرا على أن " التاريخ داعم للتخييل، والأخير مُوحٍ به" (إبراهيم، المحاورات السردية ، ٢٠١٢، صفحة ٥٢) وهي تقنية استخدمها الروائي؛ للإفلات من قَبضَّة التاريخ، وتشييد عالمه السحري الجديد الذي انصهرت فيه الحقيقة بالخيال واختار الروائي الشخصيات التاريخية الممتلئة دلالياً، ولم يمنحها في الغالب نفس الحمولة الدلالية في الرواية وعلى عكس ذلك اصطنع شخصيات من مخيلته، وشحنها بدلالات تاريخية " لكن هذه الغيمة التي تلازم الأحداث والشخصيات تؤشر باتجاه معنى ضمني يمثل رسالة العمل الروائي التي يرغب بإيصالها للقارئ ومن ثم فان خيار الرواية العربية الجديدة ليس خياراً شكلياً، بل هو خيار رؤية وطريقة نظر إلى الأشياء والعالم...إلى خلق الالتباس عند القارئ كطريقة في فهم المعضلات"(فخري، ٢٠٠٩، صفحة ١٥) حين يتشاكل عليه الأمر بين الشخصية التاريخية المعروفة حين يجدها خارج الحدث، وشخصية متخيلة مشحونة بدلالات تاريخية ألبسها الروائي ثوب الحقيقة وأصبح لها دور في بناء الحدث.

١. الشخصيات التاريخية المفعلة عن الحدث:

وهي الشخصيات التي لها وجود فعلي في التاريخ، مستوحاة من واقعه بأسمائها وأفعالها، وأقوالها، وحتى صفاتها، ومن أبرز سماتها انها شخصيات متلفظة غير جامدة، لم تكتف بأفعالها، وهذا النوع "يحتاج إلى مبدع يكون على اطلاع واسع بالشخصية التاريخية في أفعالها موقفها وتصرفاتها وما هي الأحداث التي أدت فيها هذه الشخصية دور كبير، والأحدث التي غابت عنها وأسباب غيابها حتى لا يفقد العمل فنيته، ومن ثم رؤية جديدة للتاريخ المقصود. فكيف يتعاطى المبدع مع هذا الصنف في تفعيله من دون المساس بالحقيقة ؟ من المعروف أن الشخصية بانتقالها من المرجعية التاريخية إلى فضاء الرواية/التخيلي تكون" قد انقطعت عن وظيفتها التوثيقية، والوصفية وأصبحت تؤدي، وظيفة جمالية ورمزية " (إبراهيم، التخيل التاريخي، االسرد والإمبراطورية والتجربة الاستعمارية، ٢٠١١، صفحة ٠٥) يتماهى فيها المعرفي، والجمالي وتقدم رؤية خاصة بالمبدع في إعادة قراءة التاريخ، والتعبير عن آرائه، مواقفه وتصوراته، وهنا تظهر خبرة المبدع التي ترتكز بشكل أساسي على الخيال في إقامة علاقة بين الشخصية، والحدث والتي تكون محصورة في مساحة المهمش، والمنسي وفيها يظهر التفاعل بين الشخصيات تاريخية ومتخيلة لتحريك أحداث الرواية .

غير أنه لابد من الإقرار بصعوبة التعامل مع الشخصية التاريخية وفق هذا النمط من التوظيف كونها تدخل العمل الروائي " بحقيبة ملابس جاهزة لا يمكن إبعادها عنها أو اقتراح ملابس جديدة لا علاقة لها بالصورة المرسومة عنها " (الشمالي، ٢٠٠٦، صفحة ٢٢٦) وأي تحريف، أو تزييف يجر العمل إلى احتمالات، وتأويلات.

اختار الروائي الشخصيات الاستعمارية في تفعيل، وتحريك عجلة الأحداث الروائية، كشخصية الجنيرال بيجو(BUGEAUD) المعروفة في تاريخ الثورة الجزائرية بأعماله الإجرامية، كشفت الرواية عنها من خلال إقامتها مراكز استيطانية، واستقبلت جموع من الكولون، ومنحت الأراضي المغتصبة للجنود المزارعين، وفي مقابل ذلك أعطت الأوامر لإبادة الجزائريين، ونفي زوجات، وبنات المقاومين إلى جزيرة موحشة تسمى "سانت مارغريت"، SAINTE MARGUERITE) ومنعت الأهالي من تنظيم الأسواق الأسبوعية، وكل الاحتفالات، وغلق الجوامع، والمدارس وهو ما يتساوق وقول أن "الشخصية لا تتحد من خلال موقعها داخل العمل السردي (فعلها) فقط، ولكن من خلال العلاقات التي تنسجها مع الشخصيات الأخرى " (هامون، ٢٠١٣، صفحة ١٧)

وهنا يظهر حذر الكاتب في التعامل مع هذه الشخصية، وفي خلق شخصية زروقي الأزهري الذي تخفى الكاتب خلفها لتكون وسيط في نقل ما تلفظت به شخصية بيجو، حين أعطت الأوامر لضباطها الثمانية وطلبت منهم القيام باحتلال كاسح كما فعل الإفرنج والقوط في العهود السابقة، لتحقيق مبتغاهم، وتُسدِي للصوصها تعليمات، واستراتيجية للقضاء الأهالي والفلاحين وتأمرهم بحرق المغارة التي ينسحب إليها السكان لخنقهم وحرقهم مثلما فعل بهم المجرم والسفاح كافينياك (CAVIGNIC).

وعلى غرار شخصية بيجو نجد شخصية "بيليسي"، التي زعزعت المشهد الروائي قولاً، وفعلاً قام بارتكاب أبشع جريمة راح ضحيتها ألف شهيد، ودمر القرى، وأحرق حقول القمح والشعير، وبساتين الأشجار المثمرة، وأحرق الأهالي والفلاحين، جن جنونه و راح يرقص عاريا في قلب النيران، وشهداء المغارة يتفرجون عليه كما سخر من أشباهه، أمثال:"بيجو"،"كافينياك"،"كانروبير "(CANROBERT)" سانت آرنو" (SAINT ARNAUD)والتباهي بأفعالها الشنيعة ووصفهم باللصوص الظرفاء والجبناء وتثبت وجودها أمام غار الفراشيح أمام والتلذذ بمشهد حرق الأهالي.

وهناك شخصية أخرى لا تقل أهمية عن سابقيها في سير أحداث الرواية، والتي نجد لها أقوال وأفعال في الرواية وهي شخصية "دوق دي رافيقو" (DUC de ROVIGO) الوحش الكاسر، الذي طارد الثوار، ومارس أبشع الجرائم على هذا الشعب الأعزل، ومحرقة وادي الحراش الرهيبة شاهدة عليه، فهو من شجع الجنود على قتل الأبرياء، والعزل وطلب من الجنود بجلب رؤوس الأهالي، والتنكيل بجثثهم وغلق بها قنوات المياه المعطوبة، فقد عبَّر الروائي بالشخصيات الأجنبية (الفرنسية) عن أبشع الجرائم التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي في الجزائر. وهي شخصيات لها وجود فعلي في التاريخ الجزائري، وحضورها في هذا النص الروائي كان بالقول، والفعل، اصطفاها الروائي لهدف المساهمة في دفع عجلة الأحداث، وبعثها من جديد وتعمل إلى جانب شخصيات متخيلة،

٢ . الشخصيات التاريخية المقصاة من الحدث:

وهي الشخصيات التاريخية التي استدعاها الرائي ولم تحظ بدور في صناعة الحدث الروائي، ولعل استدعاءها من قِبَل الكاتب كونها رمز فهي ممتلئة دلالياً، ولتسهم في فتح المجال لشخصيات أخرى، سواءً كانت هذه الشخصية تاريخية أو متخيلة ومحتملة الوجود، فالروائي يسعى لتسلط الضوء على الجوانب المهمشة، والمنسية، وقد تكون الشخصية المتخيلة أو المفترضة معبرة عن شخصية تاريخية طالها التهميش، فتنبري كشخصيات قائدة في النص الروائي، ملتحمة بحياة الناس، التحاما مباشراً فتكون" أكثر احتراماً، وإعجاباً من شخصيات التاريخ المركزية المعروفة " (لوكاش، ١٩٨٦، صفحة ٤١) وكأن تفاعل هذه الشخصيات الرواية جاءت لتمجد تاريخ لمن لا تاريخ لهم تاريخ المهمشين والمنسيين.

وما يحدد هذا النوع من الشخصيات (المقصاة عن الحدث الروائي)، أنها مفرغة، فهي جسد من دون حياة فلا تفكر، ولا تقول، ويقال عنها وعن أفعالها، وينحصر وجود ها في مساحة محددة؛ لتؤدي دور الشخصية الثانوية بينما يؤدي الدور الرئيسي " لأشخاص مجهولون تاريخياً أو أشخاص شبه تاريخيين أو غير تاريخيين إطلاقا " (لوكاش، ١٩٨٦، صفحة ٤٠) كون العمل الروائي يسعى للهدف الجمالي، وليس المعرفي كما هو الشأن لعلم التاريخ.

ومن بين الشخصيات التاريخية الجامدة في رواية أيام شداد، نجد شخصية الأمير عبد القادر؛ فرغم دورها البطولي في تاريخ الجزائر؛ إلا أنها شغلت مساحة ضيقة في متن الرواية وهذا عن طريق تقديم شخوص الرواية لمنجزاتها في الثورة كإنشاء عاصمة الزمالة المتنقلة وإقامة مصنع الأسلحة في مدينة مليانة وتفاوضه مع العدو كالتي عقد بموجبها معاهدة وادي تافنه، واقتنائه للخيول العربية الأصيلة لمقاومة المحتلين، وهذه الأعمال جاء بعضها في كتب التاريخ في حين لا نجد تَلَفُظ مباشر أو غير مباشر لهذه الشخصية، فالروائي يقوم بهدم، وإعادة بناء التاريخ، ولا يعيد الأحداث كما "جرت في أرض الواقع أو على نحو قريب منه، فهذه مهمة المؤرخين؛ لكن سرد المادة التاريخية يجب أن يكون وفق منظور المتخيل المنفلت من إكراهات العقل وضرورته " (أشهبون، ٢٠٠٥، صفحة ٨٩) حتي تكون أكثر تعبيرا وأكثر حرية .

كما نجد أيضاً شخصية الشيخ بومعزة التي بقيت جامدة وغائبة عن بناء الحدث الروائي، رغم المعارك التي خاضها هذا البطل ضد جيش العدو، والتي عبَّر عنها السارد بحمل الراية، والإعلان عن الجهاد وتحركاتها السرية في عدة اتجاهات والتردد بشكل كبير على الخيمة الحمراء _المركز السري _ مكان اجتماع الثوار مع أهل القرية للتشاور، والتخطيط للهجوم على مراكز العدو. ينقل لنا السارد أحداث مدينة مستغانم، التي قتل فيها البطل خمسين عسكريا فرنسياً، واستولى رجاله على مخزن الأسلحة، كما تمكن من القضاء على العميل والخائن القايد ولد الهملاشي، وجرح نجله قدور الشاوش ورغم صداها الظاهر في مسرح الأحداث، واقتراب عدسة السارد منها إلا أن الروائي أرادها أن تكون صامته غير متلفظة لتحقيق رؤيته ونظرته لهذا التاريخ.

ومن جهة أخرى نجد الروائي يوظف تقنية الحلم لتتفاعل شخصية شداد (الشخصية المتخيلة)مع شخصية الشيخ بومعزة (الشخصية التاريخية) التي عاشت حقيقة في تلك الفترة والتي عبر عنها بالرؤيا التي شاهدها شداد عن هذه الشخصية التاريخية "(أشار لرفقائه أن ينتظروا)، (شكربي على ما فعلته بأسلحة العدو) (مفلاح، ٢٠١٦، صفحة ٢٧) وبهذه التقنية (تقنية الحلم) حاول الروائي الإفلات من قبضة التاريخ وتفادى الوقوع في التأويلات ويدل على

أن هدا العمل هو عمل تخييلي للتاريخ كما أن بناء الشخصية في أساسه يقوم على جمل ويتطلب منها أن تقول كلمتها أو تنوب عنها شخصية أخرى (هامون، ٢٠١٣، صفحة ٣٩) فنجد المبدع /الروائي يقلل من تفعيل الشخصيات التاريخية مع الحدث كون هده الشخصيات تكبح حرية المبدع فينوب عنها بشخصيات متخيلة .

كما أبعد الروائي شخصيات تاريخية أجنبية من هذا الحدث، نذكر منها : الكولونيل سانت آرنو (SAINT ARNAUD) لذي أطلعنا السارد على أفعاله الشنيعة، كتنفيذ سياسة الأرض المحروقة، واستغلاله للعملاء والخونة (القايد ولد الهملاشي، قدور الشاوش) ومحاولة القضاء على الثورة، بالتفاوض مع سكان القرية، ومحاولة إقناعهم بعدم الالتحاق بالثورة. كما تفنن في القتل كقطع الرؤوس وإرسالها إلى الحاكم العام بالجزائر العاصمة ،كما نجد أيضا شخصية الكولونيل كافينياك (CAVIGNIC) التي بقيت جامد أيضا واكتفى الكاتب بنقل جرائمها كحرق أبناء صبيح، وأسر النساء لإرسالهن إلى جزيرة موحشة.

فهذا الإبعاد يدل على أن الشخصيات الأجنبية الأخرى (المفعلة مع الحدث) قد منحت الروائي القدر الكافي لتحقيق مساعيه، فجعل هذه الشخصيات ثانوية، تعبر عن الصراع، وتخدم الشخصيات الرئيسة في الرواية.

٣. الشخصيات المتخيلة/المفترضة المفعلة عن الحدث:

يضفي المبدع حركية على نصه السردي، فيصطنع شخصيات من مخيلته تحمل بعض سمات الواقع الذي يشتغل عليه، ومؤطر بمرجعيه خاصة بالمبدع، من خلال تلك النظرة الشمولية للعالم، التي لا تحدها نصوص تاريخية ومادام أنها (الشخصيات المتخيلة) تحمل أسماء وتعبر عن روح ذاك الزمان وتحمل بعض سمات المجتمع الحقيقي، فهي ممكنة الوجود (قسومة، ١٩٩٤، الصفحات ١٠٢-١٠٣) فيكون هذا المنحى في توظيف الشخصيات وليد أفكار المبدع للتعبير عن بعض القضايا وإثارة إشكال التاريخ، ونبش المغيب والمهمل منه عبر صناعة هذه الشخصيات، فهو بحاجة لإكمال عمله الروائي ولهذا فعمل الشخصيات المتخيلة _التي ابتكرها الروائي _ لا يقتصر في المشاركة وخدمة الشخصيات الحقيقية فقط بل لإثارة بعض القضايا فقد تعبر هذه الشخصيات عن شخصيات غيبها التاريخ فتكون الشخصية المتخيلة في هذه الحالة أداة لاصطياد بعض التفاصيل ولهذا يمنحها الروائي صبغة الواقعية من خلال جعلها تقوم ببعض الأعمال التاريخية وعبر هذه التقنية يحل الهامش محل المركز، والمركز محل الهامش.

ومن بين الشخصيات التي اصطفاها الروائي للقيام بهذا الدور في النص الروائي، نجد شخصية البطل شداد التي نجدها فاعلة في سير الحدث، فنقلت لنا الروية حركتها عن طريق تحول اهتمامها من فكرة الزواج بالفتاة قمرة، إلى الاهتمام بما يجري داخل الخيمة الحمراء، ومن حلمها بإنجاب البنين والبنات، إلى حلمها بالانخراط في جيش الشيخ بومعزة، ومن ثم مشاركتها في المعركة و مقارعة العدو، فهذه الشخصية لم تكن جامدة، وثابتة، فقد عبرت عن أفكارها وآرائها وتجدر الإشارة إلى أن الشخصية المتخيلة هي شخصية وضعها المبدع استجابة لمتطلبات مشروعه الروائي، والذي يبقى ناقصا من دونها (الشمالي، ٢٠٠٦، صفحة ٢٣٣) فهي أداة تنقل التاريخ من التوثيق إلى التخييل.

كما تكشف لنا الرواية عن منحى التجاوز في ظل غياب الأبطال الحقيقين، والتعاطي مع شخصيات متخيلة لإتمام المشروع عبر شخصية البطل (شداد) التي لم يكن مَثَلُهَا الأعلى شخصية تاريخية كشخصية الأمير عبد القادر

مثلا أو شخصية الشريف بومعزة، وإنما كانت شخصية متخيلة، ونلتمس هذا في تأثرها بشخصية زروقي الأزهري التي جعلها مصدر كل معلوماته ومعرفته عن تاريخه عن المنطقة (مفلاح، ٢٠١٦، صفحة ١٩) فظهرت هذه الشخصية وكأنها هي الشخصية التاريخية (شخصية زروقي الأزهري) وليس من كتب عنهم التاريخ وتناول المؤرخون حقائقهم ، ويقدم لنا الروائي موقف البطل شداد وهو مُنغمس في الحدث من خلال إصراره على المشاركة في المعارك وحبه للاستشهاد في سبيل هذا الوطن فالكاتب أراد لهذه الشخصية (المتخيلة) أن تتحرك بكل حرية دون قيد أو شرط.

نقف أيضاً على هذا التوظيف في شخصية الحضري، الذي تحرك في النص الروائي، فانتقل من بائع متجول في القرية، إلى عين راصدة لتحركات العدو تعمل لصالح الثورة والذي لم يكشف الروائي عن هويتها إلا حين وقعت في قبضة العدو. تفاعلت هذه الشخصية مع الحدث الروائي، من خلال حديثها وحوارها، والتي بدت وكأنها تجيب عن أسئلة مقصودة طرحها الروائي على لسان شخصيات أخرى، ومنها ما ذاع عن أصالة شخصية الشريف بمعزة التي قال عنها الحضري " أخبرني صديقي إبراهيم أن الشيخ بومعزة قدم من مكة المكرمة، ورجال القايد ولد الهملاشي أشاعوا بأنه غريب عن المنطقة ...إنه أصيل أوطان الشلف العتيدة (مفلاح، ٢٠١٦، صفحة ٤٣) ليكشف عن دور العملاء في تزييف الحقائق وخدمة المستعمر.

وبنفس الطريقة تعاطى الروائي مع شخصية زروقي الأزهري والتي مثلها بالشخصية الثورية المثقفة، والتي كان لها دور كبير في تطعيم الحدث بأقوالها وأفعالها وحركاتها وحواراتها؛ فقد دافعت عن هذا الوطن بالسيف والقلم ويتجلى ذلك من خلال جمعها للمحطوطات النادرة، ثم الإفصاح عن دور هذه المخطوطات قائلا: " المقاومة بلا فكر هي جسد بلا روح ومآلها الهزيمة"(مفلاح، ٢٠١٦، صفحة ٦٣) ليؤكد فكرة أن السيف والقلم يعملان جنبا إلى جنب.

خاتمة :

خلص البحث إلى النتائج التالية :

_ تعددت مفاهيم الشخصية ولم تقف عند مفهوم واحد، فقد اختلفت باختلاف وجهات النظر، وتتعدد بتعدد المشارب فالكل ربطها بمجال تخصصه .

_ الشخصية الروائية من الركائز الأساسية التي يقوم عليها العمل الروائي، فلا يمكن قبول بشكل من الأشكال عمل روائي من دون شخصية، فهي النواة التي تجمع العناصر المرتبطة بمجريات الحكي .

_ توظيف الشخصية التاريخية من أكبر العقبات التي تواجه كتاب الرواية كونها ممتلئة دلاليا، كون العمل الروائي يستدعي أحيانا عدم منحها نفس الدلالة، ومن دون أن يلحق تشويهاً بحقيقتها التاريخية .

_ تنوعت طرائق تقديم الشخصية في الرواية بين التقديم الذاتي، والتقديم الغيري واستدعى الأمر أحيانا المزج بينهما لاكتمالها صورة الشخصية في الرواية .

_ توظيف الشخصية في رواية أيام شداد كشف عن وجود شخصيات تاريخية ممتلئة دلاليا خارج الحدث لتفسح المجال لشخصيات أخرى متخيلة تتوافق ورؤية المبدع الخاصة لهذا العالم .

_ سيطرة الشخصيات الأجنبة المفعلة للحدث الروائي على حساب الشخصيات الوطنية، والتي تعبر عن رؤية ورسالة للقارئ تؤشر ضمنيا لعدم تكافؤ القوى وتفضح جرائم الاستعمار، كما نجد لها دلالة أخرى وهي وجود شخصيات مفترضة غيبها التاريخ؛ لأن الثورة جندت كافة الشعب الجزائري لمواجهة المستعمر

وعليه يمكن القول إن الروائي محمد مفلاح حاول في هذه الروية(رواية أيام شداد) أن يعيد قراءة التاريخ ويفتح جراح الذاكرة المنسية عبر فاعلية الشخصية التي تماهت فيها المرجعية تاريخية، والمرجعية المتخيلة أو المفترضة التي ألبسها ثوب الحقيقة وجعلها تتساوق مع الحدث الروائي.

قائمة المراجع

ألان روب جريه. (دت). *نحو رواية جديدة*. (مصطفى إبراهيم مصطفى، المترجمون) مصر: دار المعارف.

الصادق قسومة. (١٩٩٤). *طرائق تحليل القصة* (الإصدار ١). تونس، تونس: دار الجنوب.

جورج لوكاش. (١٩٨٦). *الرواية التاريخية* (الإصدار ٢). (صالح جواد الكاظم، المترجمون) بغداد، العراق: دار الشؤون الثقافية العامة.

حسن بحراوي. (٢٠٠٩). *بنية الشكل الروائي* (الإصدار ٢). بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

صالح فخري. (٢٠٠٩). *في الرواية العربية الجديدة* (الإصدار ١). الجزائر: منشورات الاختلاف.

عبد الرحمان فتاح علي. (كانون الأول، ٢٠١٢). تقنيات بناء الشخصية. *مجلة كلية الآداب*(١٠٢).

عبد الله إبراهيم. (١٩٩٠). *المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى الدلالية* (الإصدار ١). بيروت، لبنان: المركزالثقافي العربي.

عبد الله إبراهيم. (٢٠١١). *التخيل التاريخي، االسرد والإمبراطورية والتجربة الا ستعمارية* (الإصدار ١). عمان، الأردن: دار الفارس للنشر والتوزيع.

عبد الله إبراهيم. (٢٠١٢). *المحاورات السردية* (الإصدار ١). الأردن: دار الفارس للنشر والتوزيع.

عبد المالك أشهبون. (٢٠٠٥). *آليات التجديد في الرواية العربية الجديدة* (الإصدار ١). المغرب: منشورات مابعد الحداثة.

عبد المالك مرتاض. (١٩٩٠). *القصة الجزائرية المعاصرة*. الجزائر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

عبد المالك مرتاض. (١٩٩٨). *في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد*. الكويت: سلسلة عا لم المعرفة.

عبد المنعم الحفني. (٢٠٠٥). *موسوعة عا لم علم النفس* (المجلد ٩). بيروت، لبنان: دار نوبلييس.

فليب هامون. (٢٠١٣). *سميولوجية الشخصيات الروائية* (الإصدار ١). (سعيد بن كراد، المترجمون) الآذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.

محمد مفلاح. (٢٠١٦). *أيام شداد (رواية)*. وهران، الجزائر: دار القدس العربي.

محمد مندور. (دت). *الكلاسيكية ةالأصول الفنية للدراما*. القاهرة، مصر: دار النهضة للطبع والنشر.

نضال الشمالي. (٢٠٠٦). *الرواية والتاريخ،بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية*. أربد، الأردن: عالم الكتب الحديث.

وليد إبراهيم القصاب. (٢٠٠٨). *من قضايا الأدب الإسلامي*. دمشق، سوريا: دار الفكر.

وليد بن حمد الذهلي. (٢٠١٣). *جماليات الصحراء في الرواية العربية المعاصرة*. عمان، الأردن: دار جرير للنشر والتوزيع.